الغرب التى راجت فيها سوق العلم بين إناثه لأعظم شاهد وأسطع برهان على ما نقول من وجوب تعليم المرأة وإعدادها لأن تكون جسمًا حيًا ناميًا فى هيئة الاجتماع، فإليكن بنات الشرق عمومًا والوطن خصوصًا أرفع صوتى الضعيف عساه أن يبلغ مسامعكن، فتستفقن من نومكن الطويل وتنهضن من رقادكن الذى قد مضى عليه قرونًا واسعين سراعًا فى طلب تحصيل العلم والعرفان مقتديات ببنات جنسكن الغربيات فى طلب ما يكسبكن الفخر ويخرجكن من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، وينتشلكن من وهدة الذل إلى مقام العز ويرفعكن من مقام الحطة والخسف إلى مقام الرفعة والوجاهة، وأظهرن لدى هيئة الاجتماع رافلات بأثواب الفضل متحليات بحلى الآداب والوقار مستضيئات بأنوار علوم العصر غير منقادات إلى الزى والدلال والبهرج ولبس الحلى، لتكن قادرات على طلب حقوقكن، فتفزن بالحصول عليها بعد أن أنكرت عليكن أجيالاً، وقبضت عنكن دهورًا فلكل مجتهد نصيب والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

العلم والمال

لا يفخرنَّ امرؤ بالمال والرتبِ ... إذ لم يكن فاخرًا بالعلمِ والأدبِ

فالمالُ يفنى ويمحى ذكرَ صاحبهِ ... وذكر ذى الفضلِ لا يمحى مدى الحقبِ

حضرة الأديبة محررة جريدة الفتاة الغراء

أرجوكِ نشر رسالتى هذه فتاتكِ المحبوبة وإن تكن حريت بأن تتحلى بأسمى نفائس الفضل والآداب لا بموضوع تقاولته الألسنة والأقلام وتخالفت فيه الآراء والأحكام حتى لم يعد لى مجال للنطق بمثل هذا الكلام، ولكن إذ رأت الموضوع واسع المجال ويوجد فيه بعض فوائد لابدَّ من ذكرها أعطيت قلمى العاجز فرصة؛ ليخط ما تملى قريحتى الخامدة فأقول:

إن العلم للمرء كالأرض العطشانة للماء، فمن لا يكن عندهُ علمٌ ولا معرفة كان كالأرض القاحلة لا يرجى منهُ نفعٌ ولا ينتظر منهُ ثمرٌ بل يجب تركه وإهمالهُ.

لقد ذكرت العلماء فى هذا الموضوع أقوالاً جليلة النفع جزيلة الفائدة أثرت بعقول أبناء وبنات وطننا العزيز، فنهضوا من حالة الإهمال والتراخى، وابتدأوا أن يعرفوا أن عمران الكون لا يتوقف على جمع المال وإحراز الكنوز وتحصيل الدرهم الوضاح فقط بل إن العلوم والمعارف لها الأسبقية والتأثير بالعمران والتقدم والنجاح، فكدوا واجتهدوا لينالوا من المعارف والآداب ما يحتاجون إليه لترقية أحوالهم وتمهيد آمالهم فنالوا أخيراً ما تاقت إليه أنفسهم، وعرفوا ما للعلم من الفوائد الجمة فى عمران الكون وتغيير الهيئة الاجتماعية، فاتبعوا عند ذلك قول الشاعر:

بالعلم يا صاحِ لا بالمال والنسبِ ملك العلاءِ وفخار المرءِ والرجلِ

والحمد لله إذ علمت كل البلدان إن العلم وسيلة الإسعاد والنجاح وتحصيل المعاش، فبادرت الحكومة وبذلت كل ما فى وسعها فى سبيل انتشاره وتقدمه، وفتحت المدارس للذكور والإناث، وحثت الناس على طلب المعارف وتحصيل الفنون والأمل قريب أن الجهل لا يعد له محل يضرب فيه سرادقه بل يرحل عنا متى رأى الكره له والنفار.

ولا أرى بدًا من أن أقول إن العلم للمرأة كما هو للرجل جزيل الفائدة والنفع أكثر من المال الذى يكون غالبًا سبب البلاء والدمار لذات الأنس واللطف والدلال التى تكون خالية من المعرفة والفنون، وقد كانوا يظنون قبلاً إن العلم للمرأةَ جهلاً وغباوةً، وإن بتعليمها تتعدى حقوق الرجل، فأخروا تعليمها وتهذيبها بالمعارف والآداب التى تثقف عقلها وتنهضها إلى أوج السعادة والفخر، ولكن الآن شكرًا للخالق المنان الذى انقشع عن عقولهم الظلام، ووصلنا لعصرٍ أدرك الناس فيهِ عظم الحاجة لتعليم المرأة، فخفوا إليهِ وسارعوا غير مكترثين بالنفقات ولا ناظرين إلاَّ إلى الفائدة، إذ عرفوا أن

على المرأة يتوقف نجاح العالم بأسره، فعوضًا عن إحراز المال لتصرفه بأمور غير لازمة ولا مانع أن قلت إنها مضرة كاقتنائها الملابس الفاخرة والحلى الثمينة تصرفها على تعليمها فى المدارس، من كلما تحتاج إليه من الفنون والآداب وأشغال اليد واللغات ما يجعلها جوهرة فى تاج العصر، وما يكسبها صيتًا حسنًا وشهرةً عظيمة، ويصدق حينئذٍ ما كتبت عنه العلماء والأفاضل مقالات عديدة، إن للمرأة حقوق المساواة بالرجل من حيثية العقل والفهم.

أليست هى الواسطة الكبرى لتقدم وعمران الكون، إذ هى وحدها المكلفة بتربية البنت وتهذيب طباعها وتدريبها فى أبواب المعيشة وإعدادها لتدبير المنزل وتربية البنين فيما بعد بل عليها يتعلق مهام العالم كله، فإذا تعلمت وتربت كما يجب نشأت على صفاتٍ حميدة تقيها من التنكيت والتنديد، إذ عليها حفظ شرف البيت وحسن الصيت والشهرة والتلطف بالضيف والزائر دون أن تمس شرفها بكلمة من الخفة والطيش، ولا أظن أن العلم يؤثر تأثيراً حسنًا فى الابنة العاقلة فقط، ولكنه ينفع الحمقاء الجاهلة فيلطف طباعها ويرشدها إلى الخير والصلاح، فدعنّ أيتها الفاضلات نقابل بين امرأة جاهلة وأخرى متعلمة، فنجد بونًا عظيمًا بينهما يجعلنا على ثقة كبيرة من نفع العلوم فنرى الجاهلة لا يهمها من الدنيا إلاَّ اتباع الأزياء كلما رأت فرصة لذلك فتصرف مالها بالبذخ والإسراف للتزين بالحرير الملونة والتحلى بالخواتم والأساور والذهاب لمحلات الملاهى والمسرات والتنزه فى أماكن النزهة، وبالإجمال تتعب غاية جهدها فى عمل ما يروق بأعين من كنَّ نظيرها غير عالمة بما تكون أحوالها أخيراً، إذ تندم حيث لا يجديها ذلك نفعًا، والعالمة التى تفتحت عيناها وعلمت ما يأتيهِ العلم من النفع والعمران تراها باذلة كل جهدها بتحصيل ما ترى ذاتها مقصرة عن معرفته من الفضيلة والآداب، فتحرز من ذلك كثيراً، وتكنز ما يجعلها أهلاً للظهور فى العالم المتمدن والتكلم فى الهيئة الاجتماعية فتكسب شرفًا وذكراً حسنًا لا تفنيه الأيام وكرور الأعوام، فعلينا أيتها العقائل والأوانس الفاضلات الأديبات بنات وطنى المكرمات أن نتسابق لاقتناء ما

ننتفع به من ادخار العلوم والآداب والفنون التى تعود علينا بالعمران والفلاح، ودعنَ أن نكره كل ما يشين بحقنا، ولا نجعل سببًا يحمل البنات الأجنبيات بأن يتكلمنَ ضد المرأة الشرقية، ويقذفنَ بحقها مدعيات بأنها فى حالةٍ من الجهل تحمر لها الوجوه خجلاً، ولا ننكر أن المرأة الغربية سبقت الشرقية فى تقدمها، ولكن الحق أولى أن يقال إننا أفضل منهنَّ عادةً وأحسن عقلاً وذاكرةً إذا استعملناها وتركنَ تقاليدهنَّ إذ يوجد عندهنَّ عوائد تشمئز منها الطباع، وتنفر منها كل ابنة شرقية حائزة على آدابٍ وأخلاق حميدة «أرجو أن لا تصل إلينا تلك العوائد» وكفانا شاهداً أن من التفتت إلى إحراز العلوم من بنات وطننا نبغت بها وتقدمت كحضرة ذات الاحتشام والفضل محررة جريدة الفتاة المصونة، وهل لا أذكر ما لحضرة الكاتبة الخطيبة هنا كورانى من الفضل لكتاباتها ومقالاتها الجزيلة الفائدة، وكفى أنها أظهرت براعةً وفصاحةً مقرونتين بالحشمة والرزانة حين قدمت خطاباً بحضور جمهور من الأفاضل والعلماء تحثهم وتنهضهم لترقية بضائعهم، والاستغناء عن البضائع الأوربية ولم تكتف بهذا لذهبت لبلاد أجنبية تحامى عن وطنها وجنسيتها بإظهارها الحق والعلم، وعندنا برهان واضح يدل على فضلها وحبها للعلوم لا للمال إذ كلما جمع من الدراهم لتذاكر الدخول ليلة الخطاب وزع للفقراء والمساكين، فالرب يباركها ذهاباً وإياباً ويرجعها لبلادها غانمة ظافرة، ولا يجب أن أنسى وأتشكر أفضال كل آنسة كتبت ما يفيد فى هذه الجريدة التى أحسبها أثمن ما حصلنا عليه بهذا العام ولى أمل أنها تتقدم تقدمًا سريعًا، فتضحك ألبابنا ببكاء أقلامها، وتفيض علينا درر الفوائد من بحر علمها وتكحل نواظرنا بكحل كلامها هذا، وإننى أطلب من الجميع بأن يستعملوا ما منحهم إياه المولى بما يؤول لخير العموم ونفع البلاد، لا بالإسراف والترف والزينة والقصف راجية غض الطرف والسماح من قراء رسالتى هذه إن لم تحز القبول لدى الجميع إذ العصمة والكمال لله وحدهُ.

مريم حداد

بيروت فى ٢٧ آذار (مارث) سنة ١٨٩٣